

موقف النشطاء والجهات الفاعلة في الوطن العربي في الوقت الذي قاد تركيا إلى محاولة الانقلاب العسكري في الـ 15 من يوليو

الكاتب: فخر الدين دده¹

المرجم: عبدالله أكين²

إن محاولة الانقلاب العسكري في الـ 15 من يوليو، التي تزامنت مع موجة من الاضطرابات التي عصفت بالشرق الأوسط ، لفتت أنظار السياسيين والنشطاء العالميين والمحليين لما سيطرأ على المشاهد السياسية في المنطقة. وجاء في البيان الذي أذيع قسرًا في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون التركي "تي آر تي" (TRT) في مساء الـ 15 من يوليو من قبل الانقلابيين، أن تركيا قد فقدت مصداقيتها في الأوضاع الدولية واعتبروا هذه الحال سببًا أساسيًا لشرعنة محاولتهم للانقلاب العسكري. ومن المعلوم جليًا أن الدول الأجنبية لها دور لا يستهان بها في محاولة الانقلاب العسكري الفاشل في الـ 15 من يوليو على غرار الانقلابات العسكرية المدعومة خارجيًا في تاريخ السياسات التركية. واتضح أن الولايات الأمريكية المتحدة والاتحاد الأوروبي لهما علاقة بمنظمة فتح الله غولن الإرهابية (فيتو) ودعما لها في محاولة الانقلاب العسكري.³

إلى جانب ذلك، فإن التطورات التي شوهدت في الشرق الأوسط الذي تكون تركيا جزءًا منه، قد عززت خطة تجهيز الأوساط للانقلاب والفوضى وحتى أن بعض القوى الإقليمية لعبت دورًا في محاولة الانقلاب العسكري. وبدءًا من نهاية 2010 لقد وقعت تغييرات ملموسة على القيادات في الشرق الأوسط وقد تغيرت الخرائط بعض الشيء، وانقلبت النظم السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية رأسًا على عقب تمامًا. وفي البداية تمت تسمية الظاهرة بـ "الربيع العربي" ولكن على مر الزمن أطلق عليها اسم "الخريف العربي" عن طريق تحديث المفهوم في الأوساط الواسعة. وفي هذه المرحلة لم تسمح للتيارات السياسية، التي تدافع عن تنفيذ سياسات مثل هكذا سياسات تنفذها تركيا، حق الحياة في الدول التي شوهدت احتجاجات شعبية على حكوماتها. وفي هذا الصدد، الدولة التونسية التي تم إشعال شرارة "الربيع العربي" فيها، وفي حين كان زمام الأمور بيد حركة النهضة، لم تخل من الاضطرابات الداخلية والاعتقالات والأزمات الاقتصادية، وفي نهاية المطاف، وبعد تضعيف شعبية محمد منصف مرزوقي الذي تابع سياسات متعايشة مع النهضة، تولى منصب الرئاسة باجي قائد سبسي الذي كان من أعضاء النظام السابق. وتم القيام بتضعيف شعبية راشد الغنوشي، وهو رئيس حركة النهضة على الرغم من عدم ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية، وخاصة من قبل وسائل الإعلام والسياسيين. وليبيا، وهي مركز من مراكز "الخريف العربي" لم تنقصها الحروب الأهلية على مدى السنوات الخمس التي مضت، وفي ظل الحروب الأهلية التي بدأت في عام 2010 ، وفي المرحلة التي أدت إلى محاولة الانقلاب العسكري في تركيا، تم القيام بتشكيل ثلاث حكومات. وعلى وجه الخصوص، في عام 2014، إن الجنرال خليفة حفتر، الذي تبني سياسة عدوانية ضد الأتراك وتركيا، والذي هدّد الأتراك بطردهم من ليبيا، والذي تم الاعتراف بشرعيته في الساحة العالمية، قد حد من التقارب بين تركيا وليبيا على الرغم من أغلبية شعب مصراته.

وفي مصر، التي تعتبر قلب الدول العربية، بعد الثورة في 25 يناير 2011، وفي مرحلة ما بين يونيو 2012 ويوليو 2013، التي كان الرئيس محمد مرسي على الحكم، وعلى الرغم من تطور العلاقات بين تركيا ومصر، إلا أن العلاقات بينهما انقلبت رأسًا على عقب وتغيرت تمامًا مع تربع قائد الانقلاب العسكري عبد الفتاح السيسي على العرش. وبعيد

¹ fahrettindede@hotmail.com صحفي، جامعة سكاريا، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، ماجستير.

² مدرس اللغة العربية في كلية الإلهيات بجامعة دمليينار.

³ جريدة زمان، الـ 17 من 2016

الانقلاب العسكري، لقد قام السيسي بالإحاطة بقائدي الإخوان ومنظمات المجتمع السياسية والمدنية، وأيضاً لقد قام بإجراء دعايات مسبقة ضد الحكومة التركية وآلياتها بشكل كبير جداً. وتم نشر الأخبار الكاذبة والصور المفبركة والكاريكاتيرات بنفس الطريقة على القنوات التلفزيونية والإذاعات والصحف، وحتى تم التوقيع على الأخبار الكاذبة التي تفيد بأن تركيا أرسلت شحنات أسلحة إلى مصر، ضد رجب طيب أردوغان الذي كان رئيساً للوزراء آنذاك. ومن خلال هذه الأخبار الكاذبة قد حصل السيسي على مشجعين له في القيادة وموقفه ضد تركيا بشكل كبير.

ومن الجدير بالذكر أن الجهة السورية التي قامت بموقف تجهيزي للانقلاب العسكري في تركيا لها أهمية كبيرة وخاصة من عدة زوايا مختلفة. ومن المعلوم أن العلاقات بين تركيا وسورية قد انقطعت إثر عدم مبادرة القيادة السورية لتحقيق طلبات شعبيها حول الإصلاحات، في مارس 2011 الذي بدأ التمرد الشعبي قبيل نشوب الحرب الأهلية الدامية داخل سورية برمتها. إن تركيا، التي تأثرت أولاً بأول من الحرب الأهلية السورية سياسياً وعسكرياً وثقافياً واجتماعياً، قد اضطرت أن تصير مجاورة لحكم بشار الأسد من جهة، ومنظمة داعش وحزب العمال الكردستاني (PKK) وحزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) التابع لحزب العمال الكردستاني من جهة أخرى. وقد كانت النقطة، التي تم القيام بالإشارة إليها في البيان الذي أصدره الجيش الانقلابي قسرياً بالعبارة "إن القرارات التي أخذتها الإدارة السياسية قد أدت إلى تصعيد الإرهاب وتقاعست عن محاربهته وأسفر عنه فقدان حياة قواتنا الأمن التي تحارب الإرهاب"، تبرر هجمات حزب العمال الكردستاني وداعش لشرعنة الانقلاب العسكري الغير قانوني. إن المنظمة الإرهابية داعش، التي نشأت في الأراضي العراقية وانتشرت في سورية متخذة مدينة رقة مقراً لها، مع تزايد كثافة الحرب الأهلية في سورية، قد أصبحت أكثر خطراً نظراً للأمن التركي الوطني. وإذا وضعنا، جانباً، ادعاء ممثلي بعض الدول في الساحة الدولية والمؤسسات الإعلامية وبعض الأطراف المناوئ لها في تركيا، أن تركيا قد ساعدت على داعش، الذي لا أصل له في الحقيقة، فإنه من الحقيقة أن داعش تبقى على قيد الحياة ترزق تحت إشراف وتمويل الدول الغربية. إضافة إلى ذلك، فإن التطهير الأثني في شمال سورية، الذي تم القيام به على يد المنظمين الإرهابيين (PYD-YPG) التابعين لحزب العمال الكردستاني (PKK) في مراكز عزاز وتل أبيض وكوباني والحسكة من جهة، والقمع الذي أجرته ضد الشعب الكردي المعتدل، هما يأتیان على رأس المبادرات لإطاحة تركيا من جهة أخرى. وفي يومنا هذا، يتم القيام بإجراء محاولات الإعلان لمنطقة شمال سورية بأنها منطقة خاضعة لـ PYD، جراء عدم مصادقة العاملين العالميين على إيجاد منطقة آمنة التي طالبت بها الساسة الأتراك منذ بداية الحرب في سورية. من المعروف أن منبج، وهي معروفة بأهميتها الاستراتيجية، تم تحريرها من داعش وتسليمها لمنظمة SDG التابعة لـ PYD، من قبل قوى التحالف الدولي في الفترة التي أدت إلى الانقلاب العسكري في تركيا.

وفي الفترة التي أدت إلى الانقلاب العسكري في تركيا كانت أراضي إقليم كردستان في شمال العراق من المناطق التي شوهدت فيها تطورات ملموسة ضد تركيا التي لوحظت بأنها دولة مهمشة ومنعزلة هي الأخرى. فإن الرئيس برزاني، الذي يعد من أهم الحلفاء لتركيا، والذي أجرى سياسات إيجابية تجاه تركيا، قد اهتز حكمه من خلال التمردات، التي تم إجراؤها من قبل حركة كوران وخاصة بعد الاتفاقيات للغاز الطبيعي التي تم إبرامها بين البلدين. ومن جهة أخرى، فإن دولة اليمن هي دولة عربية أخرى قد أثارت الأحداث الواقعة فيها على تركيا على الرغم من أنها لا تكون دولة متاخمة لتركيا.

ومع كل ذلك، عندما تم القيام بمعالجة الجهات الفعالة المتأثرة على التغييرات في المنطقة، يلاحظ أن الدول العربية بأسرها، تقريباً، كانت في حالة الحزن العميق على فشل الانقلاب العسكري في تركيا كما كانت الحال في الولايات المتحدة والدول الأوروبية. وفي الحقيقة أن تركيا كانت قد وقفت ضد هذه الدول في المناطق التي تشهد تغييرات نظامية، في غضون السنوات الخمس مضت. ومن المعروف أن هذه الدول قد تبنت سياسات معادية حيال تركيا في الحركات التغييرية في ليبيا ومصر وسورية. فإن الدول الخليجية، التي أنتجت منظمات فضائية في سورية وقامت بتمويلها مالياً ونشر شعاراتها عبر وسائل الإعلام، قد أغلقت أذانها لمطالبات تركيا حول الأوضاع السائدة في المنطقة. لم تخبئ المملكة العربية السعودية والدول الخليجية عدم رضاهما بالرئيس المنتخب المصري، وقامت، أولاً، بتأييد الانقلاب العسكري الذي تم القيام به من قبل عبد الفتاح السيسي، وبعده قامت بتمويله مالياً. ووضح هذا الواقع جلياً ما أفاده السيسي في اجتماع تم عقده في شباط 2014 والذي تسرب للإعلام بأن "الدول الخليجية أموالاً مثل الأرز".⁴

⁴ <http://www.aljazeera.com.tr/haber>

وفي ليبيا التي تم إثبات وجود الكيان التركي فيها في القرن السادس عشر، والتي تعيش أزمة هوية تمت تسمية ثوار المصراة المدعومون من قبل الشعب، بأنهم مليشيات إرهابية من قبل الدول العربية على غرار دولة الإمارات العربية المتحدة فتم تدعيم خليفة حفتر المناهض لتركيا سياسياً من جهة، وعسكرياً من جهة أخرى. وعلى سبيل المثال فإن دولة الإمارات العربية المتحدة قد قامت بدعم قوات حفتر، التي تسيطر على المطار الدولي لطرابلس، أثناء الاشتباكات الشديدة في صيف 2014، باحتياطات من خلال طائرات إماراتية وأجرت سياسات مناهضة لشعب ليبيا وتركيا على حد سواء. وفي حين كانت دولة الإمارات العربية المتحدة تسعى إلى المساعدة على قوات حفتر في غرب البلاد فكان الجيش المصري في نفس المنطقة قد قام بعملية غارات جوية عديدة متنسقة مع قوات حفتر.⁵

ومن اللافت للنظر أن المملكة العربية السعودية، التي قامت بتعليقات حول تغيير مسارها الشامل بعد وفاة الملك عبد الله في يناير 2015، وترجع الملك سلمان على العرش، لم تنبئ ببنت شفة في محاولة الانقلاب العسكري في تركيا. إن الملك سلمان، مع توليه بزمام الأمور، كان قد جعل سياسته تتأقلم مع السياسة التركية بشكل غير مسبوق منذ 2011 تجاه السياسات حول مصر وسورية، وقد أقام فكرة الجيش الإسلامي الموحد ضد الهجمات الإرهابية. وفي 14 ديسمبر 2015، تم إعلان مدينة الرياض مقراً للجيش الإسلامي الموحد. وكانت تركيا من بين 34 دولة التي انضمت إلى هذا الجيش. وقد شاهدت العلاقات بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة التي تعد من أهم الحلفاء لها، انحرافاً في عهد الملك سلمان. وعلى ما جاء في وسائل الإعلام في أبريل 2016، ردّاً من السعودية على الولايات المتحدة بقيمة 750 مليار دولار أمريكي قد قامت السعودية بحملة تخفيض قيمة الدولار الأمريكي في حال اتهامها بالسعودية بأنها قد تورطت في أحداث 11 سبتمبر وتصويتها مشروع القانون في الكونغرس. ووفقاً ما جاء في الخبر، إن وزير الخارجية السعودي عادل جبير قد أعلن أنه سيبيع سندات التي يملكها بالبنك الاحتياطي الفدرالي التي تقابل 750 مليار دولار أمريكي في حال تمرير مشروع القانون في الكونغرس. وفي هذا السياق، فإن الرئيس أوباما ووزير الخارجية الأمريكي جون كيري والمسؤولون الآخرون الأمريكيون قد قاموا بزيارات عديدة للسعودية لإبداء عدم مطالبتهم بانقطاع العلاقات بين البلدين. ومن الملاحظة أن السعودية، في هذه الفترة التي تمر تورات الصعبة، قد أجرت مبادرات لتوطيد العلاقات بينها وبين تركيا. وفي نفس الفترة قد لفت الانتباه لإقامة الاجتماع، للقمة الـ 13 لمنظمة الدول الإسلامية باستضافة تركيا في إسطنبول، الأخذ بقرارات هامة. وقد تم تحليل القمة بأنها صفحة جديدة لاقترب المملكة العربية السعودية وتركيا من بعضها، إلا أن في الفترة المتجهة إلى الـ 15 من يوليو حدث واقع قد تم تحليله أن السعودية قد دعمت الانقلاب العسكري في تركيا ضمناً عن طريق الصمت ووسائل الإعلام. وقد يخطر بالبال أن التفجيرات التي وقعت في 4-5 يوليو في 24 ساعة وفي ثلاث مدن متفرقة، قد استهدفت السياسات السعودية التي تجريها. وفي هذه التفجيرات، التي وقعت أولها بجدة قرب سفارة الولايات المتحدة وثانيها بالقطيف قرب مسجد شعبي وثالثها على بعد 100 متر عن المسجد النبوي الشريف الذي يعتبر مكاناً مقدساً من قبل جميع المسلمين، قد لقي ستة أشخاص مصرعهم. على الرغم من أن أي منظمة إرهابية لم تتبنَّ مسؤولية الانفجارات، إلا أن الدلائل كانت تشير إلى داعش، وبما أن داعش لم تستهدف السعودية حتى الأونة الأخيرة غير أنه من اللافت للنظر أن داعش يبادر مثل هذه العمليات في حين أن الملك سلمان جعل يحس بحكمه وقام بتوطيد العلاقات مع تركيا. ومن المحتمل أن تكون هذه الحال مؤثرة على موقف المملكة العربية السعودية تجاه الانقلاب العسكري في تركيا.

وقد انعكس في الصحافة أن دولة الإمارات العربية المتحدة، وهي أغنى الدول الخليجية، قد قامت بعمليات مناهضة لتركيا في المناطق المذكورة أعلاه، وقامت بتمهيد الطريق أمام الانقلاب العسكري ضد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان. وبعيد الانقلاب العسكري الفاشل في تركيا، فإن خلفان الذي اشتهر في وسائل الإعلام في دولة الإمارات وبعض الدول العربية الأخرى بعملياته باسم الدول الخارجية، وقائد السابق لشرطة دبي، قد حلل بتعليق تركيا اتفاقية حقوق الإنسان الأوروبية قائلاً وبسخرية "دعونا نغتصب حقوق كل من يناهض لحزبنا، وبعده نعمل على موجب الاتفاق". وكان خلفان قد اتهم أردوغان بأنه "إخوانجي" في تغريدة له، ودعم فتح الله غولن بأنه يرى الإخوان "كريباً". وقال في نفس تغريدته "هل لعن الفراغنة على أردوغان لسبب دعمه الإرهابيين من أجل تدميرهم مصر؟"⁶

⁵ <http://misirbulteni.com>

⁶ جريدة زمان، الـ 23 من 2016

ويُفهم مدى فرحة دولة الإمارات العربية المتحدة بالانقلاب العسكري في تركيا عن طريق الأخبار التي قد انعكست في وسائل الإعلام التركية قبل ستة أشهر من محاولة الانقلاب. وعلى ما جاء في الخبر بمجلة "الحياة الحقيقية" التركية، في تاريخ 18 يناير 2016 في الصفحة الأولى تحت عنوان "خطة انقلاب ضد أردوغان من قبل متعددة الدول"، إن دولة الإمارات العربية المتحدة قد أحالت الإحاطة بأردوغان إلى دخلان الذي يُتهم بقتل ياسر عرفات، ووضعت لهذه العملية ميزانية خاصة تقدر بـ 70 مليون دولار أمريكي. وفي نفس الخبر قد تم التطرق على أنه سيتم إجراء الإحاطة بأردوغان مثلما أجري لمحمد مرسي في مصر. وفي 14 ديسمبر، في مكتب دخلان بدبي، قد زُعم أن دخلان عقد اجتماعاً سرياً مع 15 شخصاً من وسائل الإعلام والسياسة، وفي هذا الاجتماع الذي استغرق أكثر من ساعة ونصف ساعة تم القرار على أن تتكون الحملة التي ستجرى ضد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان من أربع مراحل التي سيتم تطبيقها لإجراء الانقلاب عسكري، وكانت هذه المراحل على النحو التالي:

- 1 - تخليق الوعي السيء ضد أردوغان ونشره من قبل وسائل الإعلام العربية والتركية على حد سواء.
- 2 - تدعيم وتمويل المعارضة التركية ضد أردوغان وحزب العدالة والتنمية التركي.
- 3 - نشر الفوضى في تركيا وانتهاك الأمن التركي وتشكيل تمردات عن طريق تدعيم حزب العمال الكردستاني.
- 4 - تدعيم القادة العسكريين المعارضين داخل الجيش لأردوغان وحزب العدالة والتنمية.

من المفهوم أن دخلان، الذي وضع المرحلة الأخيرة المتعلقة بالجيش على حيز التنفيذ، قد زاول إجراء أعماله البشعة ضد أردوغان وتركيا بعد أن فشلت محاولة الانقلاب العسكري. إن دخلان يمتلك قناة الغد التلفزيونية المصرية المدعومة من قبل دولة الإمارات العربية المتحدة، وهذه القناة هي التي أجرت مقابلة مع رئيس المنظمة الإرهابية فتح الله غولن الذي برز في عدة قنوات عالمية بنفس الطريقة بعد الـ 15 من يوليو.

وقد تم نشر عديد من المزاعم حول ووقوف دولة الإمارات العربية المتحدة وراء الانقلاب العسكري في تركيا، تارة من خلال التمويل المالي وطوراً آخر من خلال التخطيط. وقد أفاد موقع الأخبار "Middle East Eye" الذي يرأسه المحرر السابق "David Hearst" لـ "The Guardian" أن دولة الإمارات قد وقفت وراء الانقلاب العسكري في تركيا. وكان قد أكد الموقع، قبل أسابيع من محاولة الانقلاب العسكري في الـ 15 من يوليو⁷، على أن دولة الإمارات العربية المتحدة قد نقلت نفوذاً إلى جماعة غولن بواسطة دخلان الذي له علاقة حميمة مع ولي عهد "أبوظبي" محمد بن زايد النهيان لاستخدامها أثناء عملية الانقلاب العسكري في تركيا. وفي نفس الخبر ذاته قد جرى أن رجل أعمال فلسطيني يقطن في الولايات المتحدة قد قام باتصال برئيس المنظمة الإرهابية فتح الله غولن حول أعمال دخلان المتعلقة بالانقلاب العسكري. وعلى الرغم من أنه لم يرد أي تكذيب حول الدور الذي لعبته الإمارات، فإنه من اللافت للنظر أنها نددت بمحاولة الانقلاب العسكري بعد 16 ساعة من بدء محاولة الانقلاب واتضح أنه باتت بالفشل.

الخلاصة

وعلى الرغم من فشل محاولة الانقلاب العسكري التي حاولت أن تضع الرهن على الإرادة الحرة للشعب وتفضي الدولة إلى الحرب الداخلية، ووقوف الأمة التركية أمامها بقرار حاسم وأوقفها، إلا أن موقف الدول الأوروبية ودول الشرق الأوسط تجاه هذه المحاولة للانقلاب العسكري، على حد سواء، قد أثار على حزن شديد في نفوس الشعب التركي. ومن المؤكد أنه قد اتضح جلياً أن الدول الأوروبية التي تدعو الدولة التركية إلى "أكثر ديمقراطية" كقيمة أوروبية، والتي أعلنت تصريحات رسمية أو غير رسمية بعيد محاولة الانقلاب العسكري الفاشل، لا تكترث بالنظام الديمقراطي في تركيا، بل هي تحاول أن تجعل تركيا خارج النظام الديمقراطي، فضلاً عن أن تتصب باستمرار مكيدة لتركيا. وعلى ما سبق ذكره أعلاه، من المفهوم أيضاً، أن بعض دول الشرق الأوسط التي تعتنق نفس الدين للأمة التركية قد تورطت في محاولة الانقلاب العسكري. وفي

⁷ <http://www.middleeasteye.net/news/exclusive-uae-funnelled-money-turkish-coup-plotters-21441671>

هذا الإطار، لا مناص لتركيا التي تركزت على أهداف 2023 من أن تقرأ، وعلى أحسن وجه الدقة، التطورات والتغيرات التي حدثت وتحديث باستمرار في الشرق الأوسط. ومن المتضح أيضاً أنه يترتب على تركيا، في دول الشرق الأوسط، بدءاً من ليبيا إلى مصر وسورية، التي تُلاحظ أن التغيرات والتغييرات ستستمر لفترة طويلة، أن توطد علاقاتها مع الدول الصديقة لها من جهة، وتزيد استثماراتها لتلبي حوائج الشعوب من جهة أخرى.

وينبغي لتركيا أيضاً أن تزيد بذل جهودها أكثر في إطار الجامعات في دول الشرق الأوسط. وأخيراً، وعلى الرغم من أن كلاً من الدول الإقليمية قد تم إنشاؤها كدول صغيرة بعد نصف القرن العشرين، التي ليس لديها حضارة عريقة مستقلة وتاريخ لكل على حدة، فلديهم آمال سيئة تجاه تركيا. ومن الجدير بالذكر أن الدول الخليجية يجب تناولها جيداً، من جديد، وحتى أكثر من أي وقت مضى في ضوء أعمالها التي أجرتها في الآونة الأخيرة حيال تركيا.